(٨٤) سورة الانشقاق

فى رحاب السورة الكريمة

سورة عظيمة نزلت بمكة المكرمة آياتها خمس وعشرون نزلت بعد سورة الانفطار، تناولت الحديث عن أهوال يوم القيامة، فذكرت بعض مشاهدها وصوَّرت الانقلاب الهائل الذى يحدث فى الكون عند قيام الساعة، ثم تحدثت عن خلق الإنسان الذى يكد ويكدح ويتعب للحصول على رزقه، ليقدم لأخرته ما يشتهى من صالح وطالح ومن خير أو شر ثم هناك الجزاء العادل، وتناولت موقف المشركين من القرآن العظيم وأقسمت بأنهم سيلقون الشدائد والأهوال فى ذلك اليوم العصيب.

وختمت السورة الكريمة بتوبيخ المشركين على عدم إيمانهم مع وضوح الآيات والبراهين الدالة على وحدانية الله.

وقد سميت بسورة الانشقاق، حيث ذكر حادث انشقاق السماء وهذا بيان لأهوال يوم القيامة، وبيان ما يحدث فيها من كوارث عظيمة.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ ﴾

معانى المفردات:

السماء انشقت: تصدَّعت — أذنت لربها: استمعت وانقادت له تعالى

حُقت: حُقَّ لها أن تستمع وتنقاد — الأرض مُدَّت: بُسِطت وسوِّيت

ألقت ما فيها وتخلت: لفظت ما فى جوفها وخلت عنه غاية الخلو

كادح إلى ربك: جاهد فى عملك إلى لقاء ربك.

التفسير:

تبدأ السورة الكريمة ببيان أهوال يوم القيامة فيقول سبحانه: ﴿ إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴾ أى تشققت وتصدَّعت مؤذنة بخراب الكون قال الألوسي: تنشق لهول يوم القيامة ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ أى واستمعت لأمر ربها وانقادت لحكمة وحُقَّ لها أن تسمع وتطيع وأن تنشق من أهوال يوم القيامة[1] ﴿ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴾ أى وإذا الأرض زادت سعة بإزالة جبالها، وصارت مستوية لابناء فيها ولا وهاد ولا جبال ﴿ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴾ أى رمت ما فى جوفها من الموتى والمعادن وتخلّت عنها، قال القرطبى: أخرجت أمواتها وتخلت عنهم، وألقت ما فى بطنها من الكنوز والمعادن كما تلقى الحامل ما فى بطنها من الحمل[2] ﴿ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴾ أى واستمعت لأمر ربها وأطاعت، وحق لها أن تسمع وتطيع. وجواب إذا محذوف ليكون أبلغ فى التهويل وتقديره لقى الإنسان من الشدائد والأهوال ما لا يحيط به الخيال ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴾ الخطاب هنا عام لكل إنسان أى أنت يا بن آدم جاهد ومُجدٌّ بأعمالك التى عاقبتها الموت، والزمان يطير وأنت فى كل لحظة تقطع شوطا من عمرك، فكأنك سائر إلى الموت، ثم تلاقى ربك فيكافئك على عملك إن تقطع شوطا من عمرك، فكأنك سائر إلى الموت، ثم تلاقى ربك فيكافئك على عملك إن كان خيرا فخير وإن كان شرا فشر، ثم ذكر تعالى انقسام الناس إلى سعداء وأشقياء وإلى من يأخذ كتابه بيمينه ومن يأخذ كتابه بشماله فقال ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴾ أى فأما من أعطى كتاب أعماله بيمينه فهذه علامة السعادة وسوف يكون حسابه سهلا مُيَسَّرا.

---

(١) روح المعانى ٣٠/٧٨.

(٢) القرطبى ١٩/٢٦٨.

الإعراب:

إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ	إذا ظرف زمان للمستقبل، السماء فاعل بفعل محذوف يفسره ما بعده والتقدير إذا انشقت السماء انشقت، لأن إذا الشرطية يختص دخولها على الجمل الفعلية، وما جاء من هذا ونحوه بمؤوله محافظة على قاعدة الاختصاص.
وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ	الواو عاطفة، أذنت فعل ماض مبنى، لربها جار ومجرور متعلقان بأذنت، حُقَّت فعل ماض مبنى للمجهول، ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هى، واعلم أن الفاعل فى هذا التركيب هو الله عز وجل أى حَقَّ الله عليها ذلك أى سمعه وطاعته.
وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ	الجملة معطوفة على ما سبق ومماثل للجملة الأولى فى الإعراب.
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ	الجملة أيضاً معطوفة على ما تقدم، ألقت فعل ماض والفاعل مستتر، ما اسم موصول فى محل نصب مفعول به، فيها جار ومجرور متعلقان بألقت، وتخلت معطوف على ألقت.
وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ	سبق إعرابها.
يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ	يا حرف نداء مبنى، أيُّها منادى مبنى على الضم والهاء للتنبيه، الإنسان نعت مرفوع، أو بدل، إنك إنَّ واسمها، كادح خبر إن مرفوع إلى ربك جار ومجرور متعلقان بكادح، كدحًا مفعول مطلق منصوب، فملاقيه الفاء عاطفة وملاقيه معطوف على كادح ويجوز أن تكون خبر لمبتدأ محذوف أى فأنت ملاقيه.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ	الفاء استئنافية، أمَّا حرف شرط وتفصيل، من اسم موصول فى محل رفع مبتدأ، أوتى فعل ماض مبنى للمجهول ونائب الفاعل مستتر تقديره هو. كتابه مفعول به ثان منصوب، بيمينه جار ومجرور ومتعلقان بأوتى.
فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا	الفاء رابطة لجواب الشرط، سوف حرف استقبال، يحاسبُ مضارع مبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو، حسابا مفعول مطلق منصوب، يسيرا نعت منصوب.

﴿ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ۝ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ۝ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ۝ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ۝ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ۝ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ۝ ﴾

معانى المفردات:

يدعو ثبورا: يطلب هلاكا — يصلى سعيرا: يدخل النار يقاسى حرها

لن يحور: لن يرجع إلى ربه — فلا أقسم: أقسم ولا زائدة

بالشفق: بالحمرة فى الأفق بعد الغروب

ما وسق: ماضم وجمع — لتركبُنَ: لتلاقُن

طبقا عن طبق: حالا بعد حال

التفسير:

تتحدث الآيات الكريمات عن المؤمن بعد حسابه أى يرجع إلى أهله فى الجنة مبتهجا مسرورا بما أعطاه الله من الفضل والكرامة أى وأما من أعطى كتاب أعماله بشماله من وراء ظهره، وهذه علامة الشقاوة أى يصيح بالويل والثبور، ويتمنى الهلاك والموت أى يدخل نارا مستعرة يقاسى عذابها وحرها أى لأنه كان فى الدنيا مسرورا مع أهله، غافلا لاهيا لا يفكر فى العواقب ولا يخطر بباله الآخرة أى إنه

بلى وسيعيده الله بعد موته، ويجازيه على أعماله كلها خيرها وشرها، فإنه تعالى مطلع على العباد، لا تخفى عليه خافية من شئونهم لا لتأكيد القسم أى فأقسم قسما مؤكدا بحمرة الأفق بعد غروب الشمس أى وبالليل وما جمع وما ضمَّ إليه، وما لف ظلمته من الناس والدَّواب والهوام قال المفسرون: الليل يسكن فيه كل الخلق، ويجمع ما كان منتشرا فى النهار من الخلق والدواب والأنعام، فكل يأوى إلى مكانه وسربه، ولهذا امتنَّ الله تعالى على العباد بقوله فإذا جاء النهار انتشروا، وإذا جاء الليل أوى كل شىء إلى مأواه أى وأقسم بالقمر إذا تكامل ضوؤُه ونوره، وصار بدرا ساطعا مضيئا هذا جواب القسم أى لتلاقن يا معشر الناس أهوالا وشدائد فى الآخرة عصيبة، قال الألوسى: يعنى لتركبُنَّ أحوالا بعد أحوال، هى طبقات فى الشدة أرفع من بعض، وهى من الموت وما بعده من مواطن القيامة وأهوالها[1] قال القرطبى: المراد أنهم يلقون من الشدائد يوم القيامة وأهوالها أهوالا[2].

الإعراب:

وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا	الواو عاطفة، ينقلب مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره هو، إلى أهله جار ومجرور متعلقان بينقلب، مسرورا حال منصوب بالفتحة الظاهرة.
وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ	الواو عاطفة، أما حرف شرط وتفصيل، من اسم موصول بمعنى الذى فى محل رفع مبتدأ، وأوتى فعل ماض مبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر، كتابه مفعول به ثان منصوب، والهاء فى محل جر بالإضافة، وراء ظرف منصوب بنزع الخافض أى أوتى كتابه من وراء ظهره، ظهره مضاف إليه مجرور.

(١) روح المعنى للألوسى ٨٢/٣٠.

(٢) تفسير القرطبى ٨٠/٣٠.

فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا	الفاء رابطة وجملة سوف يدعو فى محل رفع خبر مَنْ، ثبورا مفعول يدعو أى ينادى هلاكه بقوله يا ثبوراه، يصلى عطف على يدعو وسعيرا مفعول يصلى منصوب.
إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا	إنه إنَّ والضمير فى محل نصب اسمها، كان فعل ماض ناسخ، اسمها ضمير مستتر تقديره هو، فى أهله جار ومجرور فى محل نصب حال وجملة كان واسمها فى محل رفع خبر إنَّ، مسرورا خبر كان منصوب.
إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ	إنَّ واسمها، ظنَّ فعل ماض مبنى وفاعله ضمير مستتر والجملة فى محل رفع خبر ثان والظن هنا العلم واليقين وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن، لن حرف نفى ونصب، يحور فعل مضارع منصوب وجملة لن يحور فى محل رفع خبر إن وأن وما فى حيزها سدت مسد مفعولى ظن.
بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا	بلى حرف جواب مبنى، إنَّ حرف توكيد ونصب، ربه اسم إنَّ وجملة كان واسمها وخبرها فى محل رفع خبر إن واسم كان ضمير مستتر وبصيرا خبر كان.
فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ	الفاء هى الفصيحة لأنها فى جواب شرط مقدر، أى إذا عرفت هذا أو إذا تحققت الرجوع بالبعث فلا أقسم، لا حرف نفى لتأكيد القسم، أقسم مضارع مرفوع والفاعل ضمير مستتر تقديره أنا يعود على الله عز وجل، بالشفق جار ومجرور متعلقان بأقسم.
وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ	والليل عطف على الشفق.

وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ	والقمر معطوف أيضا على ما سبق، إذا ظرف خال من معنى الشرط متعلق بفعل القسم أى وقت الساعة، اتسق فعل ماض مبنى وفاعله ضمير مستتر.
لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ	اللام جواب القسم تركبُنَّ فعل مضارع مرفوع بثبوت النون المحذوفة لتوالى الأمثال لأنه من الأفعال الخمسة والواو المحذوفة لالتقاء الساكنين فاعل والنون نون التوكيد الثقيلة، طبقا حال منصوب أو مفعول به عن طبق جار ومجرور فى محل نصب صفة لطبق أى طبقا مجاوزا الطبق[1].

﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ۝٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ۝٢٢ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ۝٢٣ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٢٥ ﴾

معانى المفردات:

يوعون: يضمرون أو يجمعون من السيئات غير ممنون: غير مقطوع

التفسير:

يقول الله عز وجل ﴿ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ استفهام يقصد به التوبيخ أى فما لهؤلاء المشركين لا يؤمنون بالله، ولا يصدقون بالبعث بعد الموت، بعد وضوح الدلائل وقيام البراهين على وقوعه؟ ﴿ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ﴾ أى وإذا سمعوا آيات القرآن، لم يخضعوا ولم يسجدوا للرحمن؟ ﴿ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴾ أى بل طبيعة هؤلاء الكفار التكذيب والعناد والجحود، ولذلك لا يخضعون عند تلاقيه ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴾ أى والله أعلم بما يجمعون فى صدورهم من الكفر والتكذيب قال ابن عباس: "يوعون" أى يضمرون من عداوة الرسول ﷺ والمؤمنين[2] ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ أى فبشرهم على كفرهم وضلالهم

(١) راجع أعراب القرآن الكريم وبيانه لمحى الدين الدرويش المجلد العاشر.
(٢) البحر المحيط ٤٤٨/٨ .

بعذاب مؤلم موجع، واجعل ذلك بمنزلة البشارة لهم، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ أى لكن الذين صدقوا الله ورسوله، وجمعوا بين الإيمان وصالح الأعمال ﴿ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ أى لهم ثواب فى الآخرة غير منقوص ولا مقطوع، بل هو دائم مستمر.

الإعراب:

فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ	الفاء هى الفصيحة، ما اسم استفهام فى محل رفع مبتدأ، لهم جار ومجرور شبه جملة فى محل رفع خبر وجملة لا يؤمنون فى محل نصب حال.
وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ	الجملة معطوفة على الجملة الحالية السابقة، إذا ظرف مستقبل متضمن معنى الشرط وجملة قرئ فى محل جر بالإضافة للظرف والقرآن نائب فاعل مرفوع وجملة لا يسجدون لا محل لها من الإعراب لأنها جواب شرط غير جازم.
بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ	بل حرف عطف يفيد الإضراب، الذين اسم موصول فى محل رفع مبتدأ، كفروا فعل ماض والواو فاعل والجملة صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، ويكذبون مضارع مرفوع بثبوت النون والواو فاعل والجملة فى محل رفع خبر الذين.
وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ	الواو عاطفة، الله مبتدأ مرفوع بالضمة الظاهرة، أعلم خبر مرفوع بالضمة الظاهرة، بما الباء حرف جر، ما اسم موصول فى محل جر والجار والمجرور متعلقان بأعلم وجملة يوعون لا محل لها من الإعراب لأنها صلة الموصول.
فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ	فبشرهم فعل أمر مبنى على السكون والفاعل ضمير مستتر تقديره أنت والضمير "هم" فى محل نصب مفعول به، بعذاب جار ومجرور متعلقان ببشرهم، وأليم نعت مجرور.

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ	إلا أداة استثناء والاستثناء منقطع فهو بمعنى لكن، الذين فى محل رفع مبتدأ وجملة آمنوا صلة الموصول، وعملوا الصالحات فعل وفاعل ومفعول والجملة معطوفة على آمنوا، لهم جار ومجرور فى محل رفع خبر مقدم، أجر مبتدأ مؤخر مرفوع، غير نعت مرفوع، ممنون مضاف إليه مجرور والجملة الاسمية فى محل رفع خبر الذين، ويجوز أن يكون الاستثناء متصلا فيكون الذين مستثنى.

من ألوان البلاغة

لقد اشتملت السورة الكريمة على العديد من ألوان البلاغة نذكر منها.

❖ الكناية فى قوله تعالى ﴿ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴾ كناية عن شدة الهول والعذاب الذى يلقاه الإنسان.

❖ الطباق بين "السماء والأرض".

❖ الجناس بين "وسق واتَّسق" وهو جناس ناقص.

❖ المقابلة بين ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴾ وقوله تعالى ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴾ .

❖ أسلوب التهكم والسخرية فى قوله تعالى ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ حيث استعمل البشارة فى موضع الإنذار للتهكم والسخرية.

❖ السجع المرصع الجميل فى أواخر الأيات وهو غير متكلف يزيد الأسلوب رونقا وجمالا.

❖ ❖ ❖